مصطلح الفناء في تفاسير الصوفية
The Term "Patience" in Sophie's Interpretations

الباحث: د/ نصر الدين أجدير

قسم العلوم الاسلامية جامعة تلمسان الجزائر
Email: adjdirl13500@yahoo.fr

Abstract

The purpose of this study is to reflect the term "diffusion" in the interpretation of Woolism and to try to control it completely so as to combine all the meanings of the interpretation so that we can rephrase it in line with the explanation of the term, which has always been vague and the question of a lot of ink in terms of judging the owners of this language. Indeed, the terminology in the invisible system must be maintained and clarified in accordance with what the authors wanted to receive the evidence of the intended meanings.

Keywords: Interpretation - Sophie - Sub-Patience.

تدبيج:

الحمد لله حمد عبد صحيح الوصل بالحضرة المحمدية، مسلسل عبرات الشوق في مقامات الفناء عن النفس البشرية، والصلاة والسلام على خير البرية، سيدنا محمد بن عبد الله منبع الشرف والنسبة السنية، وعلى الآل والصحب ذوي الهمم العلية، وعنا وعن والدينا ببركة من بهم تتنزل الأسرار الخفية وبعد :

فإن تفسير القرآن الكريم وفق مقتضى اللسان العربي مطلب كل مقبل على موائد البيان القرآني، وبغية كل ساع لذرك مقاصد القرآن وحظ المتلبس فيه أن يقف عند الأسباب والمسببات الجلية ويعيد ترجمتها بما به تلقاه من فهم واستنطاق للنصوص، لكن النزر الخفي الذي يعمل نظرية تغييب المسببات في مسببها وبيان ما يستغرقه اللفظ دون ما تجلّى له بالكلية حسب الإطاقة البشرية، إذ أن فهمه مستلب من إفهام الله له، وتلك المطالب العلية إنما تدرك بفتوح ومواهب وليست كلأ مباحا لكل راتع.

وتلك الفهوم الخفية إنما تعنى حصرا بالسير الى الله وبيان الطريق الموصل اليه، الطريق السوي الصحيح الذي تشهد له الأنام بصدق المنفذ فيه، لأن المزالق في هذا الباب كثيرة، والنفوس لا تقنع ولا ترضى بالدنية، والشيطان يرصد ويرقب كل سالك بالقصد والنية فيسعى لتشتيت سعيه وصده عن السبيل كما بين القرآن الكريم ذلك .

والأرقى من ذا وذاك أن يفهم المكلف النصوص الدالة على ضرورة اتخاذ من يأخذ بيده في طريق السلوك الى الله وهو ما يعرف عند المتصوفة بالعارف بالله الدال على الله عز وجل، ويشترط فيه بلوغ مقامات التربية والاذن مع التصريح به، وهذا الشيخ نادر ندرة الكبريت الأحمر إلا من وفقه المولى وخصه بخصيصة الاجتباء والاصطفاء هذا كله عن أصحاب السير، وهناك طائفة لحظتها العناية الربانية فوقع عليها مسمى الجذب الى حضرة الحق والتيه عن الذات في ذات المحبوب فتأبى الروح أن ترجع عالم المحسوسات فتعيش غريبة بين الأنام ويصدر عنها ما لا تفهمه العقول ولا تعيه الخواطر .

ولاشك أن اللفظ الصادر عن الصوفيّة يحتاج إلى عناية وبيان، حتى رصد البعض جملة من المصطلحات الخاصة بالقوم والتي ينبغي لمن يعكف على قراءة مدوناتهم أن تستوي عنده في آن واحد حتى لا يقع في الايهام أو الاضطراب، ومن تلكم المصطلحات التي جعلوها بغية ومقصدا مسمى الفناء اللفظ الذي لا يكاد يستغني عنه مبرّز في هذه الصنعة .

إشكالية البحث:

من الأجناس المقدمة للمداخلة رمنا وصالا بمسمى الفناء وضبط معناه من حيث التنظير له ومن حيث وروده في تفاسير القوم، فما المراد به وما مسالك نيله؟ وما الثمرات المرجوة من التلبس به ؟

أهداف البحث:

1/ الكشف عن حقيقة مصطلح الفناء.

2/ جلب الشواهد والاعتبارات لما غمض من ذيول هذا المصطلح.

3/ بيان أن المصطلح الخفي يجب ضبطه في دائرة المعاني المرادة حتى يتضح.

خطة البحث:

وقد سطرنا لهاته المداخلة خطة علمية تجمع شتاتها وتلم جزئياتها فكانت على النحو التالي:

مقدمة

الفرع الأول: فذلكة تعريفية لمصطلح الفناء .

الفرع الثاني: مسالك مقام الفناء .

الفرع الثالث: التفريعات والثمرات .

خاتمة

محاولين التجرد وبسط المعلومات على نحو يفضي بنا الى التحقيق في مسمى الفناء وتحمل الألفاظ للمعاني في كتب الصوفية.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين .

الفرع الأول: حقيقة مصطلح الفناء.

أولا: الحقائق اللغوية لمصطلح" الفناء"

الفناء مصدر" فَنَى" وتأتي بمعنى:

1/ الإنقطاع: الفاء والنون والحرف المعتلّ، هذا باب لا تنقاس كلمه، ولم يبن على قياس معلوم، قالوا: فَنِيَ يَفْنَى فَنَاءً، والله تعالى أفناه، وذلك إذا انقطع. والله تعالى قطعه، أي ذهب به1.

2/ الهرم والإضمحلال: فَنِي يَفنى فناء هرِم وأشرف على الموت هرماً2.

3/ والفناء نقيض البقاء: والفعل فَنَى يَفْنَى فناءً فهو فانٍ .

ثانيا: التوسمات الشرعية لمصطلح "الفناء".

أتى مصطلح الفناء في القرآن الكريم ويُراد به الزوال وذلك في قول الله تعالى:" كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ" الرحمن 26.

يقول الطاهر بن عاشور في تفسير " فانٍ"في الآية الكريمة" فانٍ: أنّه صار إلى الفناء، فهذا من استعمال اسم الفاعل لزمان الاستقبال بقرينة مثل:"إِنَّك مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُون"، والمراد ب:"من عليها": الناس لأنهم المقصود بهذه العبر ولذلك جيء ب"من" الموصولة الخاصة بالعقلاء، والمعنى: أنّ مصير جميع من على الأرض إلى الفناء، وهكذا تذكير بالموت وما بعده من الجزاء3"

فإذن معنى الفناء في القرآن الكريم ورد بمعنى الزوال الذي يُراد به الموت والخروج من الدنيا، فيكون بهذا يوافق اللسان الذي يعني الانقطاع و هو ضد البقاء.

ثانيا: الحقائق الاصطلاحية

ظهر الكلام في الفناء عند الطائفة الصوفية في القرن الثالث والرابع للهجرة بوضوح وسنورد التعريف المجمل عن صاحب التعريفات لنفصّله بما ذكره القوم:

يقول الجرجاني" الفناء سقوط الأوصاف المذمومة كما أنّ البقاء وجود الأوصاف المحمودة والفناء فناءان: أحدهما ما ذكرناه وهو بكثرة الرياضة، والثاني عدم الإحساس بعالم المُلْك والملكوت وهو بالاستغراق في عظمة البارئ ومشاهدة الحقّ وإليه أشار المشايخ بقولهم الفقر سواد الوجه في الدارين يعني الفناء في العالمين4" .

الملاحظ من تعريف الجرجاني أنّه ذكر درجات الفناء وأقسامه وأسبابه.

وفي تعريف الفناء عند القوم يقول القشيري "أشار القوم بالفناء إلى سقوط الأوصاف المذمومة، وأشاروا بالبقاء إلى قيام الأوصاف المحمودة به5".

فالملاحظ مما سبق أنّ الفناء والبقاء حالان مرتبطان متلازمان ومتتاليان بقاء بعد فناء، ويمكن ننظر إليهما نظرة إضافة لا إطلاق بمعنى أن الرجل يكون في حالة بقاء إذا ما فنيَ.

كما أنّ الفناء والبقاء يتعلق بالأخلاق، فإذا امتنع العبد عن الأخلاق المذمومة كان في حالة فناء وإذا دخل في حالة فناء كان في حالة بقاء أي تخلق بالأخلاق المحمودة.

ونجد الإمام النخجواني في تفسيره يعبر عن الفناء بالموت الإرادي بالإشارة فيقول"فعليك أيها العارف المتفرج أعانك الله على ما يعنيك أن تنصرف أنت في نفسك عن تصرفات مداركك ومشاعرك مطلقا وتنعزل عن مقتضيات قواك وآلاتك جملة وعن لوازم حواسك ومدركاتها رأسا وبالجملة عليك أن تميت نفسك بالموت الإرادي عن مقتضيات الحياة المستعارة الصورية ولوازمها الناسوتية مطلقا حتى تكون أنت بلا أنت متصفا بالحياة الحقيقية الحقية ولوازمها اللاهوتية ومقتضياتها الروحانية الباقية أزلا وأبدا6".

وفي موضع آخر يذكر فناء النبي صلى الله عليه وسلم في الله وبقاؤه ببقائه وربطه بالأخلاق فيقول"وبعدما انشرح صدره صلى الله عليه وسلم قد وسع الحق فيه ونزل سلطان الوحدة على قلبه فقد فنى في الله وبقي ببقائه واضمحل ناسوته الباطل في لاهوت الحق فحينئذ قد حق الحقّ الحقيق بالتحقق والثبوت وبطل الباطل الزاهق الزائل فتخلق صلى الله عليه وسلم بأخلاق الحق مطلقا7".

النّاظر في كلام النخجواني يجده هو الآخر يشير إلى الفناء بإضافته إلى البقاء، ويريد بالفناء الإمتناع عن الأهواء والشهوات زيادة على الأوصاف الذميمة، والإنسلاخ عن الحياة الناسوتية والجسمانية والتي عبر عنها بالموت الإرادي أي إماتة النفس عن مُتَع الدنيا ليتحقق بالحياة الحقيقية اللاهوتية وهذا هو البقاء المقصود.

مما تقدم يمكن القول ان التوسّمات اللغوية والشرعية والاصطلاحية للفناء تتفق في كون الفناء يراد به الزوال والاضمحلال والتغيّب والامتناع.

قال أبو المواهب التونسى رضي الله عنه: حقيقة الفناء محو واضمحلال، وذهاب عنك وزوال8.

ولعل أهم من تطرق إلى مفهوم الفناء بالنحو المنطقي الذي يعتد بضرب التقاسيم وبيان جزئياتها لتحصيل النظرة الكلية لأقسام الفناء صاحب مدارج السالكين حيث قسمها على النحو التالي9:

القسم الأول: الفناء عن وجود السوى: فهو فناء الملاحدة القائلين بوحدة الوجود، وأنّه ما ثمّ غير، وأنّ غاية العارفين والسالكين الفناء في الوحدة المطلقة، ونفي التكثّر والتعدد عن الوجود لكل اعتبار فلا يشهد غيرا أصلا، بل يشهد وجود العبد عين وجود الرب بل ليس عندهم في الحقيقة رب وعبد.

القسم الثاني: الفناء عن شهود السوى: فهو الفناء الذي يشير إليه أكثر الصوفية المتأخرين ويعدونه غاية، وليس مرادهم فناء وجود ما سوى الله في الخارج، بل فناؤه عن شهودهم وحسِّهم، فحقيقته غيبة أحدهم عن سوى مشهوده، بل غيبته أيضا عن شهوده ونفسه لأنّه يغيب بمعبوده عن عبادته، وبمذكوره عن ذكره وبموجوده عن وجوده، وبمحبوبه عن حبه وبمشهوده عن شهوده.

وهذا الفناء يُحمد منه شيء ويُذمّ منه شيء ويُعفى منه عن شيء، فالمحمود ما كان فناؤه عن حب ما سوى الله، والمذموم

ما لم يُفرق صاحبه بين العبد وربه، ولا بين نفسه وغيره مع اعتقاده الفرق.

القسم الثالث: الفناء عن إرادة السوى: وهو الذي اصطلح عليه ابن تيمية بنوع للكاملين من الأنبياء والأولياء بحيث لا يحبّ إلّا الله ولا يعبد إلّا إيّاه ولا يتوكل إلّا عليه ولا يطلب من غيره وهو المعنى الذي يجب أن يُقصد بقول الشيخ أبي يزيد البسطامي حيث قال"أريد أن لا أريد إلّا ما يريد" كالملائكة والأولياء الصالحين وهذا معنى قولهم في قوله: **إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ {الشعراء89}**

قالوا هو السليم ممّا سوى الله أو مما هو سوى عبادة الله أو مما سوى إرادة الله أو مما سوى محبة الله وهذا المعنى ان سبّي فناء أو لم يسمّ هو أوّل الإسلام وآخره وباطن الدين وظاهره10.

قال ابن عجيبة في البحر المديد يشرح قول ابن عطاء الله السكندري «تسبق أنوار الحكماء أقوالهم، فحيثما صار التنوير وصل التعبير»، هذا النور هو نور المعرفة الذي هي مقام الفناء. 11

و في أعراف القوم شراب المحبة هو خمرة الفناء والغيبة في الله، بدليل قول ابن الفارض رضي الله عنه:

فَلَمْ تَهْوَنِي مَا لَمْ تَكُن فِيَّ فَانِيًا ... وَلَمْ تَفْنَ مَا لَمْ تَجْتَلِ فِيكَ صُورَتِي. 12

الفرع الثاني: مسالك مقام الفناء.

الذي عليه التعويل في منظومة الباطن أن الوصال بحضرة المحبوب على نحوين:

الأول: بالمجاهدة والمكابدة والانقطاع والمشقة.

الثاني: بجذبة حق بوقع المشيئة والاصطفاء.

والأمر ذاته بالنسبة لمسمّى الفناء، فالمجذوب لحضرة الحق فان عن نفسه وعن الذوات الا ذات الحق سبحانه وتعالى، والذي يسلك بالمجاهدة وبذل الوسع حال وصوله لمقام الشهود وتجليات الجمال فيغيب عما سواه ولا يتراءى له إلا هو. وضبط هذه المعاني وربطها بآيات القرآن الكريم من المهمات التي باح بها أولوا المعرفة الحقيقية وتجلت في تفاسيرهم من حيث ضبط مسمى الفناء أو بيان مسالكه الموصلة إليه .

والفناء عند القوم له سببان: 13

أحدهما: قوّة الوارد وضعف المورود وهذا لا يذمّ صاحبه.

وثانيهما: نقصان العلم والتمييز وهذا يذمّ صاحبه ولا سيما إذا أعرض عن العلم الذي يحول بينه وبين هذا الفناء، وذمه وذمّ أهله، ورأى ذلك عائقا من عوائق الطريق فهذا هو المذموم المخوَّف عليه.

أولا: تلازم البقاء مع الفناء

يقول صاحب الفواتح في تجلية هذا المعنى: "ففي التذلل والانكسار يصل العبد بإتيانه الى مقام الفناء في ذاته سبحانه بل الى فناء الفناء لينعكس البقاء الحقيقي14.

فلا انتفاء ولا تضاد، بل هو عين التحقق بالشيء وضده كل باعتبار، وهذا مما يستوجب بيانا وبسطا ذوقيا.

ثانيا: الفناء عن الفناء.

قال صاحب الفواتح في تفسير قوله تعالى : "فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ" الامارة بهذا الظلم بأنواع الرياضات وترك المشتهيات والمستلذات وقطع المألوفات وترك المستحسنات لائمين عليها بأنواع الملامات حتى تكون مطمئنة بما قسم لها الحق راضية بجريان حكم القضاء الإلهي مرضية بالفناء الكُلّيّ في الله بل فانية عن الفناء ايضا ذلِكُمْ المشار اليه من الانابة والرجوع وإبراء الذمة والإذلال بأنواع الرياضات والفناء المطلق15.

فحقيقة الفناء ألا يلتفت اليه لأنه غير وسوى، والمقام يقتضي الموت عما السوى وأن كان بارق حال أو تيقن سكر.

ثالثا: الفناء في الفناء.

جاء في تفسير قوله تعالى : "إِنْ كانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ " :" ثم لما اشتهر بين الناس قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا

وامتنع عن قبول الإسلام كثير من القاصدين العازمين لقبوله وتغمم بسبب ذلك ضعفاء المسلمين أشار سبحانه الى دفع هذا المقال مخاطبا لحبيبه صلّى الله عليه وسلّم فقال قُلْ لهم يا أكمل الرسل نيابة عنا إِنْ كانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ التي هي منازل الشهداء ومقام العرفاء الأمناء الواصلين الى مرتبة الفناء في الفناء16.

وهذا لطالب الفناء بالفناء فيه لا لذاته بل لذات المحبوب لأنه سبيل الوصال وطريق الجمع والشهود، وإلا لا اعتبار له ولا اعتداد به عند القوم.

رابعا: المجاهدة سبيل الفناء.

جاء في تفسير قوله تعالى : " لا تَهِنُوا ولا تضعفوا ايها المؤمنون من متاعب مسالك الفناء في طريق التوحيد الذاتي وَلا تَحْزَنُوا من المكروهات التي عرضت عليكم من مقتضيات الأوصاف البشرية في النشأة الاولى وَاعلموا ايها الموحدون المحمديون أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ في دار البقاء أي أنتم المقصورون على أعلى المراتب17.

والحديث هنا باعتبار غلبة طالبي الحق والحقيقة إذ أن الغالب على المريدين سلوك طريق القوم بالمجاهدة ومكابدة الذكر وطلب المحبوب، أما المجذوب فلا ذكر له هنا لأنه استثناء من أصول كلية.

لذا جاء في بيان مسمى الرجال الذين أثنى عليهم الله في التنزيل بقوله: "رِجالٌ "أيْ ابطال كمل مخلصون منجذبون نحو الحق مُشمِّرون أذيال هممهم لسلوك طريق الفناء منقطعون عن الدنيا الدنية وما فيها18.

خامسا: الموت سبيل الفناء.

جاء في تفسير قوله تعالى: " لَئِنْ مُتُّمْ " أيها المؤمنون الموحدون المخلصون لَئِنْ مُتُّمْ في طريق الفناء موتا طبيعيا او إراديا أَوْ قُتِلْتُمْ فيه بيد الأعداء لَإِلَى اللَّهِ لا الى غيره إذ لا غير في الوجود تُحْشَرُونَ وترجعون رجوع الظل الى ذي الظل19.

وهذا يوافق الأمر الحسي من أن الارمام للأشباح لا يكون الا بعد الموت، فكذلك الشأن بالنسبة للأرواح، فمتى ماتت عاشت.

وقال القشيري في اللطائف: "يقال «كُنْتُمْ أَمْواتاً» لبقاء نفوسكم فأحياكم بفناء نفوسكم ثم يميتكم عنكم عن شهود ذلك لئلا تلاحظوه فيفسد عليكم، ثم يحييكم بأن يأخذكم عنكم ثم إليه ترجعون بتقلبكم فى قبضته سبحانه وتعالى، ويقال يحبس عليهم الأحوال فلا حياة بالدوام ولا فناء بالكلية، كلّما قالوا هذه حياة- وبيناهم كذلك- إذ أدال عليهم فأفناهم، فإذا صاروا إلى الفناء أثبتهم وأبقاهم، فهم أبدا بين نفى وإثبات، وبين بقاء وفناء، وبين صحو ومحو ... كذلك جرت سنته سبحانه معهم. 20.

سادسا: عدم الالتفات للأغيار:

وجاء في معرض النصح والأخذ باليد وحبة الخير للغير نصيحة الامام النخجواني بقوله : " عليك ايها المريد القاصد لسلوك طريق التوحيد هداك الله الى سواء السبيل ان تتصبر في مشاق الطاعات ومتاعب التكاليف الواقعة في سلوك طريق الفناء وسيما على أذيات اصحاب الزيغ والضلال المائلين عن سبيل الهداية والرشد المنحرفين عن جادة العدالة الإلهية فعليك ان لا تلتفت نحوهم ولا تبالي بشأنهم ولا تستعجل بانتقامهم فان ربك يكفي لك مؤنة شرورهم وبالجملة فعليك بالوقار والاصطبار" 21.

والحاصل أن المريد السالك طريق حضرة الحق ومبتغي الوصل والوصال يتعرض لمعوقات الطريق من أذية الخلق ليجد الأنس في الخالق فقط .

والنيل الى شرف الفناء في الله والبقاء ببقائه انما يحصل برفع الموانع ورفض الرسوم والعادات العائقة عن ادراك السعادات ونيل المرادات وذلك لا يتم إلا بعد نزع خلعة الناسوت مطلقا وترك مقتضيات الأوصاف البشرية والقوى الجسمانية رأسا22.

سابعا: الذكر سبب الفناء.

سماع اسم الله يوجب الهيبة، والهيبة تتضمن الفناء والغيبة، وسماع الرحمن الرحيم يوجب الحضور والأوبة، والحضور يتضمن البقاء والقربة. فمن أسمعه «بِسْمِ اللَّهِ» أدهشه في كشف جلاله، ومن أسمعه «الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» عيّشه بلطف أفضاله. 23.

هذا كله الذكر المأذون من الحضرة المحمدية أي ن طريق صاحب السر الذي تلقفه مباشرة من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم .

ومن ثم تبدأ ترقية المريد الى الوصول قال النخجواني: "وهداه للعروج الى معارج الوجوب مترقّيًا من درجة الى درجة ومقام الى مقام الى ان وصل الى مبدأ طريق الفناء ثم ترقى منه ايضا من حالة الى حالة الى أن فنى عن الفناء ايضا ثم بعد ذلك صار ما صار وليس وراء الله مرمى ومنتهى24.

فاسم الله يقع في القلب فيتنور ومتى اتحدت الأنوار نور الروح مع نور الذكر المأذون ينتج انتشاء وطربا للروح فتهتز وتضطرب وكأنها غائبة عن الحس .

ثامنا: العارف بالله كعبة الأرواح.

سبق وأن بينا أن قطب الرحى في المسألة كلها العثور على العارف بالله المأذون من الحضرة النورانية المسلك الموصل للمريد الى حضرة الحق، وأن يعرفه نفسه فيعرف ربه لذا جاء في تفسير قوله تعالى: « والْبَيْتِ الْمَعْمُورِ" الإلهي الذي هو عبارة عن قلب العارف المحقق المتحقق بمقام الفناء عن الفناء الواصل بدوام التحقق والبقاء ببقاء ذي العظمة والكبرياء25.

كما يرى ابن عجيبة أنه لا بد فيه من تربية على يد شيخ كامل عارف بطريق السير، قد سلك المقامات ذوقا وكشفا، وحاز مقام الفناء والبقاء، وجمع بين الجذب والسلوك لأن الطريق عويص26.

الفرع الثالث: التفريعات والثمرات .

من المدركات التي لا يتنازع فيها النظّار أن المكلف يهوي بجبلته لجلب ما فيه صلاح له، ويتفانى في ذلك كلما عظمت المصالح، ولا بد من طالب الفناء في الله من ثمرات بينة يبتغيها ويبذل في سبيل تحصيلها نفيس الأنفاس من الأوقات والأموال لذا جلّى أهل الحقائق الثمرات التي تجتنى من ذلك .

أولا: بيان أن الفناء من الله.

والفناء من النعم التي تستوجب الحمد والشكر لحضرة الجبار الذي يجبر خواطر السالكين المتلهفة قلوبهم في وصاله والفانين عن ذواتهم ومهجهم في سبيل تحصيل الرضا الذي يتولد من القرب وبالتالي الدخول على حضرته.

يقال إن الذي أقامك بشواهد العبودية فيما أثبتك به لرادّك إلى الفناء عنك بمحقك في وجود الحقيقة27.

ويورد ابن عجيبة لطائف اشارية في مسمى القراءة وبيان مدارج الفناء بين السالكين من مراتب القراءة بقوله :"أهل الفناء في الأفعال: أن يقرأ العبد كأنه يقرأ على الله تعالى واقفا بين يديه، وهو ناظر له ومستمع منه، فيكون حاله السؤال والتملق والتضرع والابتهال، و أهل الفناء في الصفات: أن يشهد بقلبه كأن الله تعالى يخاطبه بألفاظه، ويناجيه بإنعامه وإحسانه، فمقامه الحياء والتعظيم، والإصغاء والفهم، وأهل الفناء في شهود الذات: أن يرى في الكلام المتكلم، فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته، بل يكون فانيا عن نفسه، غائبا في شهود ربه، لم يبق له عن نفسه إخبار ولا مع غير الله قرار 28.

فحاصل الأمر أن الخير كله من فناء وبقاء لله عز وجل فهو المنعم والمتفضل، كما أن المريد لا يفنى الا بهبوب نسمات القرب من حضرته .

ثانيا: ثمرات الفناء

إن التحقق بمقام الفناء سلوكا وسيرا إليه قد يكون حالا من الأحوال التي تتروح فيها النفس وتراوح، وقد يكون تربعا على

مقام الفناء واستيلاء وحوزا له تنفي فيه مسميات الجمع والفرق والفناء والبقاء، ومن الثمرات التي تجتنى من البقاء في الفناء :

1- البراءة من الشرك والنفاق: لم يبرأ من الشرك الخفي والجلي إلا أهل الفناء الذين وحدوا الله في وجوده، فلم يروا معه سواه29.

2- رؤية الحق سبحانه وتعالى: رؤية الحق جائزة واقعة عند الصوفية في الدارين، ولكن لا ينالها في هذه الدار إلا خواص الخواص، ويعبرون عنها بالشهود والعيان، ولا يكون ذلك إلا بعد الفناء، وفناء الفناء بعد موت النفس وقتلها، ثم الغيبة عن حسها ورسمها، تكون بعد التهذيب والتدريب والتربية على يد شيخ كامل30.

3- الأدب مع الله ورسوله والخلق: أن العلم بالله يقتضي القيام بهذه الوظائف: الفناء في الله، بالغيبة عما سواه، وشهود الداعي الأعظم، وهو رسول الله، والأدب مع عباد الله، ليتحقق الأدب مع الله. 31.

4- الدخول في دائرة الخصوصية : والمراد بالخصوصية: تحقيق مقام الفناء، ودخول بلاد المعاني. فكل من لم يحصل مقام الفناء، ولم يشهد إلا المحسوسات فهو من العوام، ولو بلغ من العلم والعمل ما بلغ، ولو رأى من الكرامات أمثال الجبال32.

5- تحصيل مسمى الفناء الأكبر: فإذا تمكنوا منها ورسخت أقدامهم فيها، وحصل لهم الفناء الأكبر، لم يحرصوا على شيء، ولم يتأسفوا من فوات شيء، لهم ولغيرهم33

خاتمة البحث:

وبناء على ما سبق يمكن أن نخلص إلى جملة من النتائج العلمية :

1/ حقيقة الفناء عند الصوفية فمنهم من خصّه في الأخلاق ومنهم من جعله عاما يعم الأخلاق و الشهوات.

2/ الفناء له علامة تظهر على العارف الذي يتصف بالفناء وهي الهيبة التي تبدوا على العبد فتنسيه الدنيا، وتلك الهيبة تكون بتزكية القلب وتصفية النفس بالمجاهدة والرياضة والأذكار والعبادة والزهد فتغنيه عن عقله .

3/ المتصف بوصف الفناء يغرق في صفة الفناء فيبقى ليعيش الحياة الحقيقة فيكون الحق هو سمعه وبصره ويده ورجله فتفنى صفة البشرية وتبقى صفة الألوهية.

4/ وهم من قال أن الصوفية يقولون بالحلول او الاتحاد انما غيبة العقل تسكر والفاظ السكران حال النشوة لا تعبر عن الحقيقة التي بصدره .

5/ لا يحاكم الصوفية الى منطوقاتهم مستقلة بل لا بد من جمعها وبيان القدر المشترك ومن ثم الخلوص الى الحكمة التي كان يروم بيانها والا فالتوقف أولى.

6/ تحسين الظن بأهل العلم، والتريث في الحكم عليهم من المهمات في هاته الازمنة التي فسدت فيها الاعتبارات وتزاحمت فيها المذاهب التي تنصر منتسبيها وتكفر معاديها .

وفي هذا القدر بركة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين .

ثبت المصادروالمراجع:

القرآن الكريم

- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لا بن عجيبة الحسني تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، 1419 هـ
- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، دار التونسية للنشر،تونس، 1984م.
- التعريفات الجرجاني، تح: إبراهيم الأبياري، ط/ دار الكتاب العربي – بيروت، ط 1 ، 1405هـ.

- الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري، تح: عبد الحليم محمود - محمود بن الشريف، ط/ دار المعارف، القاهرة.
- العبودية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تح: محمد زهير الشاويش، ط/ المكتب الإسلامي – بيروت، ط 7، 1426هـ - 2005م .
- الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية للنخجواني، ط/ دار ركابي للنشر - الغورية، مصر، ط 1 ، 1419 هـ - 1999 م .
- لسان العرب لابن منظور، تح: عبد اللّه الكبر- أحمد حسب الله- محمد الشاذلي، دار المعارف للنشر، القاهرة، د.ت .
- لطائف الإشارات = تفسير القشيري لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري تح: إبراهيم البسيوني الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصرالطبعة: الثالثة
- مدارج السالكين بين اياك نعبد واياك نستعين لابن القيم الجوزية، تح: عاطف صابر شهين، ط1 1435هـ/2014م، ط/ دار الغد الجديد.
- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، ط/ دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

الحواشي:

[1] - معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، ط/ دار الفكر، 1399هـ - 1979م، ج4 ص453.

2- لسان العرب لابن منظور، تح: عبد اللّه الكبر- أحمد حسب الله- محمد الشاذلي ، دار المعارف للنشر ، القاهرة، د.ت ، ج 5 ص 3477.

3 - التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، دار التونسية للنشر،تونس، 1984م، ج27، ص253.

4 - التعريفات الجرجاني، تح: إبراهيم الأبياري، ط/ دار الكتاب العربي – بيروت، ط 1 ، 1405هـ، ص 217.

5 الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري ، تح: عبد الحليم محمود - محمود بن الشريف، ط/ دار المعارف، القاهرة، ج 1 ص 171.

6 - الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية للنخجواني، ط/ دار ركابي للنشر - الغورية، مصر، ط 1 ، 1419 هـ - 1999 م ج1، ص11.

7 المرجع السابق، ص16.

8 / البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لا بن عجيبة الحسني تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، 1419 هـ ج3ص 54.

9 - مدارج السالكين بين اياك نعبد واياك نستعين لابن القيم الجوزية، تح: عاطف صابر شهين، ط1 1435هـ/2014م، ط/ دار الغد الجديد، ج1 ص138، 139، 148.

10 - العبودية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، تح: محمد زهير الشاويش، ط/ المكتب الإسلامي – بيروت، ط 7، 1426هـ - 2005م ص 127.

11 / ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لا بن عجيبة الحسني ج3ص 369

12 / البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لا بن عجيبة الحسني ج4ص 142.

13 - مدارج السالكين بين اياك نعبد واياك نستعين لابن القيم الجوزية ، ج1، ص141.

14 - ينظر: الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية لنعمة الله بن محمود النخجواني ج 1 ص 50 .

15 - أيضا: ج 1 ص 33.

16 -ا أيضا: ج 1 ص 43

17 - أيضا: ج 1 ص 126

18 - أيضا: ج 2 ص 12.

19- أيضا: ج 1 ص 220.

20 - لطائف الإشارات = تفسير القشيري لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري تح: إبراهيم البسيوني الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصرالطبعة: الثالثة ج1 ص 73.

21 -ا لفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية لنعمة الله بن محمود النخجواني ج 2 ص 438.

22 / أيضا: ج 2 ص 128

23 - لطائف الإشارات تفسير القشيري لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ج1 ص 396.

24 - الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية لنعمة الله بن محمود النخجواني، ج 2 ص 456.

25 - أيضا: ج 2 ص 375.

26 -البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لا بن عجيبة الحسني تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، 1419 هـ ج1 ص 66.

27 / لطائف الإشارات = تفسير القشيري لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري تح: إبراهيم البسيوني الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر الطبعة: الثالثة ج3ص 84

28 / البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لا بن عجيبة الحسني ج1 ص 66.

29 / أيضا: ج2 ص 106.

30 / أيضا: ج2 ص 257.

31 / أيضا: ج2 ص 333.

32 / أيضا: ج2 ص 556.

33 / أيضا: ج3ص 248.